

وقال محاوراً أبا العلاء المعربي (وهي من روايته) :

يحاورني في سجنه ، وأحراوره

وهل يعدم الأعمى صديقاً يسأله

وأني عمى هذا الذي كان كائناً

مفتوحة أبصاره ، وبصائره

تأمل في الدنيا ، فأدرك سريرها

وكل خباء ، لا تدوم سرائره

ووازن أفعال الرجال ، فلم تكن

سوى عبث ، واللهو تعشى مظاهره⁽¹⁾

و شاهد في بغداد سوقاً عجيبة

بـها المشعر يـشـرى جـلـده وأظـافـرـه

فـعـادـ إـلـىـ أـرـضـ الـمـعـرـةـ نـافـضـ

رـفـائـبـهـ ،ـ وـالـقـلـبـ تـدـمـيـ مـشـاعـرـهـ

ولـازـمـ بـيـتـاـ صـارـ سـجـنـاـ مـحـبـبـاـ

تـحـيـطـ بـهـ أـفـكـارـهـ وـخـواـطـرـهـ

إـذـ زـارـهـ ظـامـ إـلـىـ بـعـضـ عـالـمـهـ

أـفـاضـتـ عـلـيـهـ سـحـبـهـ وـقـنـاطـرـهـ

وـانـ لـمـ يـزـرـهـ .. طـارـ لـلـأـمـسـ عـالـيـاـ

يـحدـثـ مـمـنـ يـهـفـوـ لـهـ ،ـ وـيـنـاظـرـهـ

تشكلت (المخدران) من فيض لمحة

سمّاوية، غنت عليـها مزاهـره

وحـاول أن يعطـي الجـمـيع دـالـة

بـأن حـصـان الشـعـر يـخـلـد قـاهـره

أقـول لـهـ: لـكـن لـيـكـ دـائـمـ

يـقولـ: وـهـل لـلـفـجـر بـابـ أـبـادـرـهـ؟ـ!

أـقـولـ: وـحـفـقـ المـحـبـ؟ـ يـسـكـتـ سـاعـةـ

وـتـسـبـحـ فـى صـمـتـ المـكـانـ مـبـاـخـرـهـ

إـذـا كـنـتـ لـمـ أـسـمـعـ صـدـاـهـ، فـصـوـتـهـ

تـزـلـزـلـنـى فـى كـلـ وـقـتـ أـوـامـرـهـ

هـفـوتـ إـلـيـهـ، غـيـرـ أـنـىـ حـرـمـتـهـ

وـهـلـ يـصـدـحـ المـحـرـومـ وـالـجـوـعـ كـاسـرـهـ

أـقـولـ: وـإـهـ دـارـ المـأـبـوـةـ؟ـ لـاـ يـرـىـ

بذلك عيبا ، فالعي وب تحاصره⁽²⁾

أقول : وهو هذا المشك ؟ يسرع قائلا :

وأى فـؤاد تستقر خـواطـره

إذا كـان إيمـانـكـانـكـانـ المعـوـامـدـجـاجـةـ

فـإنـيـقـيـنـىـلـيـسـتـهـدـاـكـوـاسـرـهـ

أقول : لقد ألزمـتـنـفـسـكـبـالـذـىـ

ترخصـ،ـوالـإـنـسـانـيـعـجـزـطـائـرـهـ⁽³⁾

يجـبـبـأـنـالـشـعـرـلـاـيـمـنـجـالـذـىـ

يـظـلـعـلـشـطـالـنـجـاهـيـداـورـهـ

ولـكـنـهـيـعـطـىـلـمـنـخـاضـفـالـأـسـىـ

وـأـوـغـلـفـىـالـآـلـاـمـ،ـوـالـمـوـجـعـاصـرـهـ

أقول : لقد حيرت من رام فهمكم

يقول : أنا المحيران ، ضلت ذواخره

لقد عشت لا أدرى ، فماذا يضيركم ؟

أنا المليء مسدول عليه ستائره

تغربت عن عصرى ، وما كنت زادما

وقد يهلك العطشان ، والماء حاضر

إذا كان بعض الناس أغلى بضاعتي

فما كان قصدى أن تزيد خسائره !⁽⁴⁾

(1) فى س : مناظرة

(2) المقصود بإهداه للأبوبة : عدم إقباله على المزواجه ، حتى لا ينجذب أطفالها يتذبذبون مثله ، والإشارة هنا إلى بيته المشهير : هذا جناه أبي على وما جنت على أحد

(3) الإشارة هنا إلى طريقة (لزوم ما لا يلزم) التي اتبعها المعربي في ديوانه الكبير المزوميات.

(4) تحسم خاتمة هذه القصيدة الجدل المأثير حول المعنى الحقيقى لأنساع المعربي المحيرة ، فضلاً عن أنها تلقى الضوء على ما كان يتمتع به النباجى من مقدرة على الغوص فى نفسيات شعراء العرب الكبار .